

القلب المسكين

تمت

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال صاحب القلب المسكين : ووقفت المحامية وكأني بين الحراس تردح عليهما من كل ناحية ، وقد ظهرت للوجودين ظهور الجلال للحب ، ونقلتهم في الزمن إلى مثل الساعة المصورة التي ينتظر فيها الأطفال سماع القصة العجيبة ؛ ساعة فيها كل صور اللذة للقلب

وكانت تدافع بكلامها ووجهها يدافع عن كلامها ، فلو نظعت غيباً أو رشداً فلهذا صوابٌ ولهذا صوابٌ ، لأن أحد الصوابين منظور بالأعين

كان صوتُ النائب العام كلاماً يُسمعُ ويُفهمُ ؛ أما صوت المحامية الجميلة فكان يُسمعُ ويُفهمُ ويُحسُّ ويُذاقُ ، تلقينه هي من ناحية ما يُدركُ ، وتلقاه النفس من ناحية ما يُمشقُ ، فهو متصل بحقيقتين من معناه ومعناها ، وهو كله حلاوة لأنه من فمها الحلوة

وبدأت فتناولت من أشياءها صرأة صغيرة فتظرت فيها

— النائب العام : ما هذا يا أستاذة ؟

— المحامية : إنكم تزعمون أن هذه الجريمة تأليفٌ عينيٌّ ،

فأنا أسأل عينيٌّ قبل أن أتكلم

— النائب : نعم يا سيدي ، ولكنني أرجو ألا تدخلني

القضية في سر المرأة وأخواتها ... إن النيابة تخشى على آهاتها إذا تكلمت لغة الدفاع

فضحكت المحامية ضحكة كانت أولَ البلاغة المؤثرة ...

— النائب : من الوفاق القانوني أن تكون المحامية الفتاة

غير فتاة ولا جذابة أمام المحكمة

— المحامية : تريد أن تجعلها عجوزاً بأمر النيابة ...؟ (ضحك)

— النائب : جمال حسناء ، في طرف غانية ، في شمائل راقصة ،

في حماسة عاشقة ، في ذكاء محامية ، في قدرة حب . هذا كثير

— المحامية : يا حضرات المستشارين . لم تكن المرأة هفوة من

طبيعة المرأة ، ولكنها الكلمة الأولى في الدفاع . كلمة كان الجواب عنها من النائب العام أنه أقر بتأثير الجلال وخطره ، حتى لقد خشي على آهاته إذا تكلمت له لفتي

— القضاة يتبسمون

— النائب : لم أزد على أن طلبت الوفاق القانوني . الوفاق .

نعم الوفاق ، فإن المحامية أمام المحكمة ، هي متكلمة لا متكلمة

— المحامية : متكلمة بلحية مقدرة منع من ظهورها التمذّر ... (ضحك)

كلا يا حضرة النائب ؛ إن لهذه القضية قانوناً آخر تُشترعُ منه شواهد وأدلة ؛ قانون سحر المرأة للرجل ، فلو اقتضاني الدفاع أن أرقص لرقصت ، أو أغني لغنيت ، أو أثبت سحر الجلال لأثبتته أول شيء في النائب العام ...

— الرئيس : يا أستاذة ؟

— المحامية : لم أجاوز القانون ، فالنائب في جريمتنا هو

خصم القضية ، وهو أيضاً خصم الطبيعة النسوية

— النائب : لو حدث من هذا شيء لكان إجماعاً لمواطن المحكمة ... فأنا أحتج

— المحامية : احتج ما شئت ، ففي قضايا الحب يكون العدل

عدلين ، إذ كان الاضطرار قد حكم بقانونه قبل أن تحكم أنت بقانونك

— النائب : هذه العقدة ليست عقدة في منديل يا سيدي ،

بل هي عقدة في القانون

— المحامية : وهذه القضية ليست قضية إخلاء دار

يا سيدي ، بل هي قضية إخلاء قلب

— الرئيس : الموضوع ، الموضوع

— المحامية : يا حضرات المستشارين . إذا اتفق القصد الجنائي وحيث البراءة . هذا مبدأ لا خلاف عليه ؛ فاهو الفعل

الوجودي في جريمة قلبي المسكين ؟

— النائب : أوله حب راقصة

— المحامية : آه دائماً هذا الوصف . هبوا في معناها غير

جديرة بأن يرفها لأنه رجلٌ تقى ، أفليست في حسنها جديرة

بأن يحبها لأنه رجلٌ شاعر ؟ احكوا يا حضرات القضاة . هذه

راقصة ترتق وترتقى ، ومعنى ذلك أنها رهنٌ بأسبابها ، ومعنى

هذا أنها خاضعة للكامة التي تدفع . . . فلماذا لم ينلها وهي

متعرضة له ، وكلاهما من صاحبه على النهاية ، وفي آخر أوصاف الشوق ؟ أليس هذا حقيقاً بما يحبكم القانوني كما هو جدير بالحباب الدين والعقل ؟ وإن لم يكن هذا الحب شهوة فكر ، فما الذي يحول دونها وما يمنعه أن يتزوجها . . . ؟

— القضاء يتبسّمون

— النائب . نسيت المحامية أنها محامية وانتقلت إلى شخصيتها الواقعة على النهاية وفي آخر أوصاف الشوق . . . فأرجو أن ترجع إلى الموضوع ، موضوع الرافضة

— المحامية : آه دائماً الرافضة . من هي هذه المسكينة الأسيرة في أيدي الجوع والحاجة والاضطرار ؟ أليست مجموعة فضائل متهورة ؟ أليست هي الجائنة التي لا تجد من الفاجرين إلا لحم الميتة ؟ نعم إنها زلت . إنها سقطت . ولكن بماذا ؟ بالفقر لا غير ؟ فقر الضمير والذمة في رجل فاسد خدعها وتركها ؛ وفقر العدل والرحمة في اجتماع فاسد خذلها وأهلها . يا للرحمة للبيضة من الأهل ، وأهلها موجودون ! والنقطعة من الناس ، والناس حولها !

تقولون : يجب ولا يجب ، ثم تدعون الحياة الظالمة تمكس ماشاوت فتجمل ما لا ينبغي هو الذي ينبغي ، وتقلب ما يجب إلى ما لا يجب . فاذا ضاع من بضيع في هذا الاختلاط ، قلم له : شأنك بنفسك ونقضتم أيديكم منه فأضتموه مرة أخرى . ويحكم يا قوم ! غيروا اتجاه الأسباب في هذا الاجتماع الفاسد تخرج لكم مسببات أخرى غير فاسدة

تأتي المرأة من أعمال الرجل لا من أعمال نفسها ، فهي تامة وتظهر كأنها متبوعة ؛ وذلك هو ظم الطبيعة للمسكينة ؛ ومن كونها تظهر كأنها متبوعة ، يظلمها الاجتماع ظلماً آخر فيأخذها وحدها بالجريمة ، ويقال سافلة وساقطة وما جاءت إلا من سافل وساقط

لماذا أوجبت التريسة الرجم بالحجارة على الفاسق المذموم ؟ أمي تريد القتل والتعذيب والمثلة ؟ كلا فان القتل ممكن بغير هذا وبأشد من هذا . ولكنها الحكمة السامية العجيبة : إن هذا الفاسق هدم بيتاً فهو يُرجم بحجارته ما أجلك وأسمالك يا شريفة الطبيعة ؛ كل الأحجار يجب أن تنتقم ل حجر دار الأميرة إذا هدمت تستمقطن المسكينة ولو ذكرتم آلامها لوجدتم في ألسنتكم

كلمات الإصلاح والرحمة لا كلمات الدم والعار . إنها تسمى برذونها إلى الرزق ؛ فهل معنى هذا إلا أنها تسمى إلى الرزق بأقوى قوتها . نعم إن ذلك معنى الفجور ؛ ولكن أليس هو نفسه معنى القوت أيها الناس ؟

— الرئيس وهو يمسح عينيه : الموضوع الموضوع

— المحامية : ما هو الفعل الوجودي في جريمة قتل المسكين ؟ ما هو الواقع من جريمة يضرب صاحبها المثل بنفسه للشباب في تسمى غيرته عن معناها إلى أظهر وأجمل من معناها ؟ لبئس القانون إن كان القانون يعاقب على أمر قد صار إلى عمل ديني من أعمال الفضيلة

— النائب : ألا يخجل من شعوره بأنه يجب رافضة ؟ — المحامية : ولم يخجل ؟ أمن جمال شعوره أم من فن شعوره ؟ أليخجل من عظمة في سمو في كمال ؟ أليخجل البطل من أعمال الحرب وهي نفسها أعمال النصر والمجد ؟ أتأذنون يا حضرات المستشارين أن أصف لكم جمال صاحبه وأن أظهر شيئاً من سر فنها الذي هو سر البيان في فنه ؟

— النائب : إنها تهاجن علينا يا حضرات المستشارين ، فالذي يحاكم على السكر لا يدخل المحكمة ومعه الزجاجة . . . — الرئيس : لاجابة إلى هذا النوع من ترجمة الكلام إلى أعمال يا حضرة الأستاذة

— المحامية : كثيراً ما تكون الألفاظ مترجمة خطأ ببيئات المتكلمين بها أو المصنفين إليها ؛ فكلمة الحب مثلاً قد تنتهي إلى فكر من الأفكار حاملة معنى الفجور ، وهي بيمينها تبلغ إلى فكر آخر حاملة إلى سموه من سموها . وعلى نحو من هذا يختلف معنى كلمة الحجاب عند الشرقيين والأوربيين ؛ فالأصل في مدينة هؤلاء إباحة المعاني الخفيفة من العفة . وإكرام المرأة إكرام منازلة . . . يقولون إن رقم الواحد غير رقم العشرة فيضونه في حياة المرأة ، فما أسرع ما يجهء « الصفر » فإذا هو العشرة بيمينها . . .

أما الشرقيون فالأصل في مدنيتهم التزام العفة وإقرار المرأة في حقيقتها . لاجرم كان الحجاب هنا وهناك بالمعنيين المتناقضين : الاستبداد والعدل ، والقسوة والرحمة ، و . . .

— النائب : وامرأة البيت وامرأة الشارع . . .

المحامية : وبصر القانون وهي القانون . . .

— الرئيس : وحسن الأدب وسوء الأدب

تفاهم المشكلة الاسبانية

ألمانيا تكرر محاولة أغادير
بقلم باحث دبلوماسى كبير

يظهر أن أخطار المشكلة الاسبانية لن تقف حد ؛ فقد بدأت الثورة الاسبانية في أواخر يولييه الماضى حرباً أهلية ، ولكن عوامل التدخل الدولية التي سببتها منذ قيامها لم تلبث أن غلبت على صفتها المحلية الداخلية ، فهي اليوم حرب دولية في الأراضي الاسبانية ، يستتر فيها فريق الدول الفاشستية وراء الجنرال فرانكو زعيم الثورة ، وتستتر الدول الديموقراطية وراء حكومة مدريد ؛ وقد كان هذا الاستتار شفافاً في البداية بنم على حركات الدول المختلفة ؛ ولكنه بفسح اليوم عن كل شيء بجلاء ؛ وتبدو الدول المتدخله ولاسيما ألمانيا وإيطاليا والسوفييت في الميدان بكل جرأة ؛ وتتقاطر الأسلحة والذخائر والتجندات الأجنبية إلى الفريقين المتحاربين بلا انقطاع

فهذه الصورة الدولية التي أسبغها التدخل الأجنبي على الحرب الأهلية الاسبانية تندو اليوم بالنسبة لأوروبا بركاناً بضارم بمختلف المفاجآت والأخطار ؛ وقد كان آخر طور من أطوارها الخطرة تفاهم التدخل الألماني وظهور ألمانيا في سياستها الاسبانية بمظهر يزعم الدول الغربية وبشير كل مخاوفها . ذلك أنها لم تكف بإرسال السلاح والذخيرة والمتطوعين إلى جبهة الثورة ، ولكنها بثت بقسم من أسطولها إلى المياه الاسبانية الشمالية وأخذت سفنها الحربية تمتد تباعاً على السفن الاسبانية الجمهورية بحجة الانتقام لحادث الباخرة « بالوس » ؛ وفي الأنباء الأخيرة أن قوة عسكرية ألمانية نزلت في مرا كفس الاسبانية ، وأنه شرع في بناء الشكنات اللازمة لأيوائها مما يدل على أنها ستمكث هناك طويلاً ؛ وأن قوات أخرى نزلت في قانس لنجدة الجبهة الثورية

وقد كان تدخل إيطاليا وألمانيا في الحرب الاسبانية على هذا النحو يزعم الدول الغربية منذ البداية ؛ بيد أنه يلوح لنا أن السياسة الابطالية أخذت على أثر تفاهمها مع انكلترا مخفف نوعاً

الموضوع للوضوع
— الحماية : لا والذي شرفكم بشرف الحكم يا حضرات المستشارين . ما يرى القلب للسكين في حبيته إلا تعبير الجمال ، فهو يفهمها فهم التعبير ككل موضوعات الفن . وما بينه وبينها إلا أن حقيقة الجمال تعرفت إليه فيها . أن أحسن الشاعر سرّاً من أسرار الطبيعة ، في منظر من مناظرها ، قلم أجرم وأثم ؟ هذا قلب ذو أفكار ، وسيله أن يمان على ما يتحقق به من هذا الفن . قد تقولون : إن في الطبيعة جمالاً غير جمال المرأة فليأخذ من الطبيعة وليط منها . ولكن ما الذي يجي الطبيعة إلا أخذها من القلب ؟ وما هي طريقة أخذها من القلب إلا بالحب ؟ وقد تقولون : إنه يتألم ويتمذب ، ولكن سلوه . أهو يتألم بأدراكه الألم في الحب ؛ أو بأدراكه قسوة الحقيقة ، وأسرار التمتع في الخير والشر ؟

إن شعراء القلوب لا يكونون دائماً إلا في أحد الطرفين : هم أكبر من الهم ، وفرح أكثر من الفرح . فاذا عشقوا تجاوزوا موضع الوسط الذي لا يكون الحب المتدل إلا فيه ؛ ومن هذا فليس لهم آلام معتدلة ولا أفراح معتدلة هذا قلب مختار من القدرة البوحية اليه ، فالتى يجبالا تكون إلا مختارة من هذه القدرة اختيار ملك الوحي . وما بهذا قوتان في يد الجمال لأبداع أثر عظيم ملء قدرتين كلتاها عظيمة فأن قلم إن حب هذا القلب جريمة على نفسه ، قالت الحقيقة الفنية : بل امتناع هذه الجريمة جريمة إن خمسين وخمسين تأتي منهما مائة ؛ فهذا بديهي ؛ ولكنه ليس أبين ولا أظهر ولا أوضح من قولنا : إن هذا العاشق وهذه المشوقة يأتي منهما فن

قال صاحب القلب السكين : وانصرف القضاة الى غرفتهم ليتداولوا الرأي فيما يحكون به ، وأومات لي الحماية الجميلة تدعوني إليها ، فهضت أقوم فاذا أنا جالس وقد اقتبعت من النوم ؟

سنة ١٩٣٦

(طنطا)

(جائزة) إن يحسن كتابة الحكم في هذه القضية خمس نسخ من كتاب (وس القلم) . وترسل المقالات باسماً إلى (طنطا) ، والبرعد إلى آخر شهر يناير هذا ، والشروط رضى الحكيم ومنهم صاحب القلب السكين وصاحبه